

جامعة "باريس ٨" - فنسن - سان دنيس
مدرسة "كونيسيون" الدكتورالية - لغة و تفاعل (رقم ٢٢٤)
مختبر "سيتو-پاراغراف" (EA ٣٤٩)

دكتوراه في علم المعلومات و التواصل
تم تقديم و مناقشة البحث علنياً
في ١٨ تشرين الثاني ٢٠١١ بجامعة "باريس ٨"

كلود يعقوب

يد التلميذ-المصمم في مواجهة أدوات التقنيات الرقمية
في تدريس مشروع الفن المعماري

مدير البحث : د. خلدون زريق



مفردات رئيسية

فن العمارة - تصميم - يدوي - رقمي - فن التعليم - مقابلات

ملخص

نعيش اليوم في عالم من الزوال، عالم من الإدمان، من التشوق؛ عالم مكون من أكوان رقمية تفيض بنا على أجنابنا الهشة، تتجاوزنا ضمن حدودنا الإنسانية، تطمرنا تحت شتى أنواع الطبقات، وها نحن نجد أنفسنا مدفوعين ضمن عالم مصغر لا متناهي الأرقام، يحملنا من الإختلال إلى الإدمان. هذا العالم الرقمي يبلبل أصول تدريس التصور بشكل عام وبمجال تصور مشروع فن العمارة، موضوع بحثنا، بشكل خاص. و بالوصول الساحق لبرامج التصور الرقمية لجعبة طلاب فن العمارة، العلاقة مع المشروع انقلبت كلياً وأصبحت المقاربة التصورية موضع تساؤل. بحثنا يهتم ويتوجه بشكل مباشر إلى المدرسين و حصراً لطلاب الحلقة الأولى (ليسنس)، ممثلي المشروع و الذين نسميهم هنا التلاميذ-المصممون، حول مقاربة أفضل لتصور المشروع (الرسم - *disegno*) مع خص المرجع اليدوي بمكانة بهدف زيادة القيمة الإدراكية، الإجتماعية و الإقتصادية.

نحن نتكلم هنا عن مكانة، عن تأثير هذه الأدوات، بمعنى تأثيرها على الجسم؛ عندما تصدم شظية جسماً آخر: تحدث صدمة، هنالك نقطة و زاوية لهذا التصادم. و هذا ما نريد تحليله بهدف استنتاج التأثير الناجم عنه. تبين فرضية أننا نتقدم، وخطر الفكرة السائدة بأننا نعيش بأحسن حال بفضل هذه التقنيات الجديدة التي تحجب "ذكاء الأيدي" على حساب فطنة الحاسوب المزعومة.

هذا الوضع التعليمي، الذي نصفه بالحرج، يؤهل حالياً دمي التصميم المعماري المتحركة في خدمة قوى اقتصادية تفرض شبكاتها و أنظمتها بهدف الإستثمار بجميع أسواق البناء، وذلك على جميع الأصعدة، من المسكن الشخصي إلى المدن. و تحت التهديد بالإختفاء أو أن يصبح محصوراً بمشاريع ضخمة رقيقة المستوى يجب حماية و تعزيز قيمة دور مهندس العمارة اعتباراً من أول سنة جامعية و ذلك من خلال إظهار فعالية هذا الدور في المجتمع و اشتراكه الحتمي ببنائه المادي و غير المادي، المعماري و المواطني.

نعيد بذلك إلى بساط البحث أسس تدريس المشروع، في الوقت الذي تجتاح فيه الأدوات الرقمية عالم التصميم مسببة التباساً ما بين مشروع مُفكّر به، تصور أو تصميم مُبين، و صور منشأة بواسطة برامج العرض و التقديم المصطنع والتي تؤدي بدورها إلى إلتباس ما بين الهدف أو الغاية (*dessein*) و الرسم (*dessin*)، بين المشروع و الرسم الهندسي، بين تصميم مُدرّك و فكرة مُلقّنة، بين تجسيد لفكرة و صورة مصطنعة، بين

مُرافق و مُلقّن، بين الإرادة و النزوة . فرضيتنا قائمة على أساس أن استخدام الوسائل الرقمية لا يناسب اطلاقاً طلاب العمارة في الحلقة الأولى بما يخص تصور المشاريع بمراحلهم التصميمية .

إن " بحثاً تشاركياً " ، عنصر مركزي في تحقيقاتنا، سمح لنا أن نكون محددين بتحرياتنا . وكل هذه العناصر مترجمة في الموقع الإلكتروني (s) *Manifeste* ، مع الأجوبة الصوتية للخبراء الثمانون الذين تم اللقاء معهم حول المواضيع: الرقمية، الإنسان-الآلة و التصميم . تبادلات آراء سمحت لنا أن نظور مواضيع تخص الجسم، اليد، الرسم و الغاية، بالإضافة إلى صيغ مُطوّرة تعبر عن التعاليم التي خُصنا بها من هذا البحث ككل و صفات مستحضرة كتعليم عن اليد، في عالم رقمي يزداد حضوره، إلى " التصميم المُعان من قبل مصمم " (و ليس من قبل الحاسوب) . كل ذلك يدفعنا باتجاه أسلوب تعليم خليط (هجين) مع إعادة توضع البيئة المعلوماتية ضمن الجدول التعليمي لمشروع العمارة في الكليات و المدارس التي تؤهل مصممي الواقع المستقبليون . إعادة وضع هذا العالم الرقمي مع جميع أدواته في مكانة محيطية و ليس في دور مركزي يجعله المفكر الوحيد، وإعادة اعطاء الدور الجوهري للابديل عنه لليد و لليدوي . الحد من استخدام هذه الأدوات الرقمية يصبح أمراً ضرورياً، طارئاً و حاسماً . كي نتوقف عن جعل الإنسان مجرد متلقي أمام الآلة، مع إعادة النظر في طرق تدريس، و في تصميم مشروع العمارة الذي هو حالياً متروك و بحرية لبرامج إنشائية تطرح أدوات افتراضية مُسيّرة من قبل آلات تقود التصميم ضمن نماذج لطرق معرفية منشأة من قبل أنظمة تقنية تحد من نشاط، ابتكار و خلق التلميذ-المصمم . الإنسان-المواطن يعاني من عطل، محدود بإمكانية التنفيذ المفروضة من قبل هذه الداعمات المعلوماتية و التي تقلص من إرادة التغيير المندفعة عادةً من طبيعة الإنسان، التي هي أساس التصميم، و في الوقت نفسه تحد من الرغبة في تجسيدها . الإبتعاد عن هذا الجو الافتراضي في اللحظات الحاسمة من الإبداع مع البقاء على اتصال مع هذه العناصر الضرورية للعرض و التقديم المصطنع و ليس للتصميم .

البدء بتفكيك نظرية العمل و استعادة « ملكة تأمل الأشياء و فن أخذ الوقت بطريقة ذكية » شئى تحدث عنه إيميل سيوران، و التطلع إلى مستقبل آخر، فيه مكان للكتابة و الحياة . بتدريسنا الامؤكّد، فإن، كما يقول إيدنغار موران « التأكيد على مبدأ أن المستقبل يبقى مفتوحاً، أن الغير مؤكّد يحكمنا و أن الحتمية موضع تساؤل » كي نعيد بناء الثقة بالمستقبل، التي تستلزم رفضاً لأي شكل عبودية للقدر، و أمل جديد مواجهةً مع التاريخ .

لا نستطيع التفاخر بأننا " على حق " ولكن نطالب بحقنا بالإختلاف بالمنطق و الفهم، خصوصاً في هذه الأيام المتواطئة التي نمر بها حيث تبسط هذه التقنيات " الحديثة " كل المساحات، و أهمها مساحة الفكر كي تجعلها أحادية، واحدة، غير قابلة لإعادة النظر أو للشك .

كيف يمكن حقيقةً أن يكون هناك أي نوع من التقدم بمعزل عن حرية نقده؟ كيف يمكن لنا ألا نقف بوجه اجتياح التقنيات التي تطمس كل شئ في طريقها؟ كيف لنا أن نصمت و كأن الأمور على أحسن حال في عولمنا الرقمية؟ كيف لنا ألا نُشيد بتلافي الوسائل الرقمية في التصميم (المعماري)؟ ألا نشجع تفجر من نوع آخر؟ ألا ندفع باتجاه استبدال مؤقت، نحرض على تغيير محير لمجرى الأمور، نتسبب بعودة ساحقة لليدوي على حساب الإصبعي (Digital)؟

الدخول في عالم أحد ما بغية إعلان الإنشقاق عما يعتقد، في الوقت الذي لا يعي فيه استبداد سلطة ما عليه، وفي حالتنا هذه هي سلطة اقتصادية وبشكل ما سياسية أيضاً، هو مجبر أن ينصاع إليها. في دور المقاوم، علينا أن نمارس فضيلة الانفصال، أن نكون في حالة الثائر، في حالة إلترام مستمر. يجب أن تسكننا ثورة هادئة، إنذار دائم يجب أن يبقى في حالة تيقظ كي نستطيع التصرف في حالات الطوارئ. علينا بهذه الحالة أن نؤهل التلاميذ-المعماريين، جنود المشاة الحقيقيون في خدمة الثقافة، على أن يعتبروا أن لديهم مهمة ترصد لحماية التصور المنطقي، الصحيح والمتناغم. هذه المعركة ممكن أن تكون طويلة و شاقة، ونهايتها مؤجلة على الدوام، لسماع العالم و رهاناته الحيوية من أجل بقاء الإنسان و رخاء معيشته. أن نستطيع التوقف للتفكير و أخذ دور الممثل الفاعل في المجتمع؛ ممثل-مصمم و ممثل-بناء للعديد من مساحات الحياة المنشأة من حجارة مادية و غير مادية.

العودة إلى المصدر، إلى الأصل، و بنفس الوقت الالتفات نحو المستقبل لإعادة كتابة الحياة، إعادة شرح المكان، عدم الرضوخ إلى شرح متصلب، إلى موروث، بل إعادة نظر دائمة في الأشياء و في الأفراد. الابتعاد عن "كل شئ، و فوراً"، و عن تلك العقلية التقنية بغاية أن نطرح على أنفسنا الأسئلة الحقيقية على المدى البعيد، مما يُمكن وصل الذهنية مع الروحانية. «التوقف و أخذ الوقت مع الذات»، السكن في حميمية الكائن، ... التي نراها حاضرة أكثر فأكثر في مجتمعاتنا المكشوفة بشكل مفرط.

في انتظار الوصول إلى مدينة نيل سبيلر الفاضلة، الذي يتخيل عصر ما بعد الرقمية، حيث العمارة و الحياة المعاصرة تتوجهان بلطف نحو الرقمية، يهمننا أن ندرك خطر "تسونامي" الصورة الرقمية (L'infographie) التي تقتحمنا، كي نعرف كيف نوجه هذه القوة العارمة لخلق مشاريع معمارية مرموقة مع الإستناد إلى عقلنا و يدنا الذين يعملان معاً بما يخدم صحة و بقاء كوكبنا. يجب أن نقول لا كي لا ندع مجموعة من الأشياء تحدد ماهية العالم كما نعرفه، فإذاً يتوجب علينا نحن أن نحدد مكانة التكنولوجيا بالنسبة لحضارتنا، ما قد يجعل من هذه الثورة الرقمية عملية تحضرية تساهم بانبثاق ثقافة جديدة: ثقافة رقمية متوافقة مع انسانية هادئة.